

منبر المحراب

معاني العبادات

من خلال خطبة الزهراء عليها السلام

السنة الخامسة عشرة

العدد ٨٨٥ - ٢٦ / جمادى الأولى / ١٤٣١ هـ
الموافق ١١ / أيار / ٢٠١٠ م

محاور الموضوع الرئيسية:

- العبادة منة من الله.
- مفهوم العبادة في الإسلام.
- معاني العبادة في كلمات الزهراء عليها السلام.

الهدف:

التعرّف على معاني العبادة وبعض أسرارها من خلال خطبة الزهراء عليها السلام.

تصدير الموضوع: عن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها، وأحبها بقلبه، وياشرها بجسده، وتفرغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم يسر»^(١).

(١) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٨٣.

١- العبادة منة من الله: لقد كرّم

الله تعالى الإنسان، ومنّ عليه بنعمة الإنسانية، وفضّله على المخلوقات بنعمة العقل، وجعله عنصراً فاعلاً وساعياً للكمال والتميّز، ونافراً من النقص والعجز والفشل. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَن تَقْوِيمٍ﴾^(١)، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٢). وحتى لا يقع الإنسان في ظلمات الجهل حرص على تعليمه، قال

(١) التين: ٤.

(٢) الإسراء: ٧٠.



تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٣).

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٤).

ورسم له طريق الهدى بما أرسل من أنبياء وشرائع، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٥). وحمله مسؤولية أعماله،

فقال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٦). وقد منّ الله تعالى على

خلقه بأن سهّل لهم سبل العلاقة به، من خلال ما شرّعه في نظام العبادات من صلاة وصوم وحج... بهدف أن يرتقي الإنسان بروحه، ويتكامل في إيمانه، ويتّزن في سلوكه.

٢- مفهوم العبادة في الإسلام: أصل

معنى العبادة مأخوذ من الذل، يقال طريق معبّد إذا كان مدّلاً قد وطّئته الأقدام، غير أن العبادة في الشرع لا تقتصر على معنى الذل فقط، بل تشمل معنى الحب أيضاً، فهي تتضمن غاية الذل لله وغاية المحبة له، فيجب أن يكون الله أحبّ وأعظم من كل شيء عند العبد، قال الإمام علي عليه السلام قال: «إذا أحب الله عبداً ألهمه حسن العبادة»^(٧).

والعبادة بالمعنى الأعم: اسم

يطلق على كل ما يصدر عن الإنسان المسلم من أقوال وأفعال وأحاسيس استجابة لأمر الله تعالى، وتطابقاً مع إرادته ومشيتته، فلا حصر ولا تحديد

(٣) العلق: ٥

(٤) الرحمن: ٣-٤.

(٥) الجمعة: ٢.

(٦) النجم: ٣٩.

(٧) غرر الحكم، ٤٠٦٦.

لنوع الأعمال التي يعبد بها الله... فالصلاة، والصدقة، والجهد، والتفكير في خلق الله، ومساعدة الضعيف، وإصلاح الفاسد، وأداء الأمانة... الخ: فكل تلك الأعمال هي عبادة ما دام الداعي إلى فعلها، أو تركها، هو الله ﷻ: «العبادة سبعة أجزاء، أفضلها طلب الحلال». ونظر الولد إلى والديه حباً لهما عبادة»^(٨). وعن الإمام الصادق عليه السلام: «أفضل العبادة إيمان التفكير في الله»^(٩) وروي عن الإمام علي عليه السلام: «أفضل العبادة الصبر والصمت وانتظار الفرج»^(١٠). وهذا يعني أنه بإمكان العالم والتاجر والعامل والفلاح والقاضي أن يكون متعبداً... وهو يمارس نشاطه الاجتماعي، وعمله اليومي عندما يقصد في نفسه الاستجابة لأمر الله، ويستشعر مع هذا القصد معنى الطاعة لله، والالتزام بشريعته

- والعبادة في الاصطلاح الفقهي:

تطلق على الأعمال التي يشترط في صحتها نيّة القربة إلى الله تعالى، والإخلاص له تعالى فيها، كالطهارة والصلاة والصوم والزكاة والخمس والجهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحج... الخ.

٣- معاني العبادة في كلمات الزهراء عليها السلام:

ورد في خطبة الزهراء عليها السلام التي ألقتها في المسجد النبوي بيان للعديد من المعاني والأسرار للكثير

(٨) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٤٠.

(٩) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٥٥.

(١٠) تحف العقول، ص ٢٠١.

(١١) نقلاً عن نص الخطبة المحقّق، الواردة في كتاب فدك هبة النبوة، حسن الهادي، ص: ٢٤٤.

إليه يصعد الكلم الطيب

الأحكام الإبتلائية التي أفقها الفقهاء
بوجوب تعلمها.

عقوبة تارك الصلاة: قال تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ يَسَاءُلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾^(٩).

- **الصلاة أول الوقت:** قال الإمام الصادق (عليه السلام): «من صلى الصلوات المفروضات في أول وقتها وأقام حدودها رفعها الملك إلى السماء بيضاء نقية تقول: حفظك الله كما حفظتني استودعني ملك كريم، ومن صلاها بعد وقتها من غير علة ولم يقيم حدودها، رفعها الملك سوداء مظلمة وهي تهتف به ضيعة الله كما ضيعتني ولا رعاك الله كما لم ترعني»^(١٠).

- **حضور القلب في الصلاة:** لا بد من حضور القلب والخشوع في الصلاة، فلا يكفي الحضور الجسدي فيها.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إنما لك من صلاتك ما أقبلت عليه منها»^(١١).

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(١٢).

ولقد اعتبر الإمام الخميني (رحمته الله) في تحرير الوسيلة حضور القلب من مقدمات الصلاة فقال:

ينبغي للمصلي إحضار قلبه في تمام الصلاة أقوالها وأفعالها ومعناها: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(١٣) أي خاضعون متواضعون متذللون لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم، ولا يلتفتون يميناً ولا شمالاً.

الأحكام الشرعية، يجب أن تستند على الاعتقاد الصحيح، والإيمان بالله تعالى والإخلاص له، ولا قيمة للعبادة دون تحقق هذين الشرطين. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(١٤).

٤- **أقيموا الصلاة:** (تفصيل في الصلاة)

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(١٥). وجوبها: ثابت في نص القرآن الكريم في أكثر من آية وتواتر السنة المستفيضة بأمر النبي (صلى الله عليه وآله) وفعله وتقريره. وهي ضرورة من ضروريات الدين عند جميع المسلمين. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما بين الكفر والإيمان إلا ترك الصلاة»^(١٦).

فلسفتها: الصلاة حب وإيمان وعروج بالروح إلى الله، هي أفضل وأرق العبادات، بها يشعر الإنسان بعظمة ووحدانية الله ويشعر بلذة العبودية والذلة لله. قال الإمام الصادق (عليه السلام): «أحب الأعمال إلى الله عز وجل الصلاة وهي آخر وصايا الأنبياء»^(١٧).

أهميتها: الصلاة مصدر راحة واطمئنان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فكان يقول عند دخول وقت الصلاة «أرحنا يا بلال»، وقرة عيني الصلاة»^(١٨).

عدم جواز تركها: لا يجوز ترك الصلاة بحال من الأحوال، فقد اتفق الفقهاء على أنها لا تترك إلا في مورد فقدان الطهورين.

وجوب تعلم أحكام الصلاة: يجب تعلم أحكام الصلاة الفقهية لأنها من

من التشريعات، منه ما ورد في بعض العبادات:

الصلاة: قالت (عليها السلام): «ففرض الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر...».

وقد ذم القرآن الكريم الذين يستكبرون عن عبادة الله تعالى، فقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾^(١٩) وذم المستكبرين عنها بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ ذَاخِرِينَ﴾^(٢٠). الزكاة: «... والزكاة (تزكية للنفس) وتزييداً في الرزق».

الصوم: «... والصيام تثبيتاً للإخلاص»، فالإخلاص شرط لكل العبادات ولا بد من تثبيته من خلال عبادة شاقة جسدياً كالصوم، ومعنى الإخلاص أن يقصد العبد بعبادته وجهه الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾^(٢١).

الحج: «... والحج تشبيهاً للدين». **الجهاد:** «... والجهاد عزاً للإسلام».

الأمر بالمعروف: «... والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، والنهي عن المنكر تنزيهاً للدين».

والملاحظ أنها (عليها السلام) قد افتتحت الكلام عن العبادات والأحكام الشرعية الأخرى بشرط الإيمان، وأنه تطهير من الشرك، واختتمت بتحريم الشرك، فقالت (عليها السلام): «... وحرم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية فاتقوا الله حق تقاته... وما ذلك إلا لأن العبادة والطاعة والالتزام بسائر

(٩) المدثر: ٤٠-٤٣.

(١٠) وسائل الشريعة، ج ٤، ص ١٢٤.

(١١) وسائل الشريعة، ج ٥، ص ٤٧٧.

(١٢) المؤمنون: ١-٢.

(١٣) المؤمنون: ٢.

(١٤) النحل: ٣٦.

(١٥) النساء: ١٠٣.

(١٦) وسائل الشريعة، ج ٤، ص ٤٣.

(١٧) الكافي، ج ٣، ص ٢٦٤.

(١٨) بحار الأنوار، ج ٨٠، ص ١٦.

(١٩) الأنبياء: ١٩.

(٢٠) الأنبياء: ١٩.

(٢١) البينة: ٥٠.

